

الكشاف

عن
حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل
في وجوه التأويل

للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري

(٤٦٧-٥٣٨ هـ)

تحقيق وتعليق ودراسة

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي

أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

الجزء الأول

مكتبة العبيكان

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الحق كقول أهل خيبر: محمد والخميس (٢٣٦) ونهيه عن الامتراء ـ وجل رسول الله ﷺ أن يكون ممتريا ـ من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة، وأن يكون لطفاً لغيره.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾: من النصارى، ﴿فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: أي: من البينات الموجبة للعلم، ﴿تَعَالَوْا۟﴾: هلموا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعالَ نفكر في هذه المسألة، ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾: أي: يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: ثم نتباهل بأن نقول: بهلة الله على الكاذب منا ومنكم، والبهلة بالفتح، والضم: اللعنة، وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك: «أبهله» إذا أهمله، وناقة باهل: لاصرار عليها[1] وأصل الابتهال هذا، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا، وروي: «أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح، ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أنّ محمداً نبيٌّ مرسل، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكنّ فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتى رسول الله ﷺ وقد غدا محتضنا الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليٌّ

----

٢٣٦ ـ سيأتي تخريجه في سورة الصّافات.
قال الحافظ: هو طرف من حديث لأنس متفق عليه بلفظ «صبّح رسول الله ـ ﷺ ـ أهل خيبر وقد خرجوا بالمساحي على أعناقهم فلمّا رأوه قالوا: هذا محمد والخميس... الحديث».
وسيأتي في صورة الصّافات انتهى.

= تراب ـ ليس بصلةٍ لآدم ولا صفةٍ، لأنَّ الصلة للمبهمات والصفةَ للنكرات ولكنه خبرٌ مستأنفٌ على جهةِ التفسير لحالِ آدمَ عليه السلام» قال: «قال الزجاج «وهذا كما تقولُ في الكلام: «مَثَلُك كمثلِ زيد» تريد أنك تُشبهه في فِعْلٍ ثم تخبرُ بقصة زيد، فتقول: فعل كذا وكذا». انتهى. الدر المصون.

(١) قوله «وناقة باهل لاصرار عليها» في الصحاح صررت الناقة شددت عليها الصرار، وهو خيط يشد فوق الخلف والتودية، لئلا يرضعها ولدها. وفيه الخلف: حلمة ضرع الناقة. وفيه التودية: خشبة تشد عليه. (ع)

خلفها وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران[1]: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرّك على دينك ونثبت على ديننا قال: «فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» فأبوا. قال: «فإني أناجزكم» فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردّدنا عن ديننا على أنّ نؤدي إليك كل عام ألفي حلة: ألف في صفر، وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد. فصالحهم على ذلك وقال: «والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رءوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا» (٢٣٧) وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنّ رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود. فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة، ثم علي، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. (٢٣٨) فإن قلت: ما كان دعاؤه

---

٢٣٧ ـ أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/٢٥٨، ٢٥٩) عن ابن عباس عن الشعبي عن جابر قال: قدم على النبي ـ ﷺ ـ العاقب، والطيّب والطبري (٦/٤٧٩)، حديث (٧١٨١)، (٧١٨٣) في الأول عن محمد بن جعفر بن الزبير والثاني عن السديّ وأخرجه ابن إسحاق (٦٧٧ ـ سيرة بن هشام) وأخرجه أبو داود (٣/١٦٧): كتاب الخراج والإمارة والفيء: باب في أخذ الجزية، حديث (٣٠٤١) عن ابن عبّاس بنحو الأول.

قال الحافظ: أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوّة، من طريق محمد بن مروان السديّ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بطوله وابن مروان متروك متّهم بالكذب ثم أخرج أبو نعيم نحوه عن الشعبي مرسلاً، وفيه «فإن أبيتم المباهلة فأسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فأعطونا الجزية. كما قال الله تعالى. قالوا: ما نملك إلاّ أنفسنا قال: فإن أبيتم فإني أنبذ إليكم على سواء، فقالوا: لا طاقة لنا بحرب العرب، ولكن نؤدي الجزية، فجعل عليهم في كلّ سنة ألفي حلّة: ألفاً في صفر، وألفاً في رجب، فقال ـ ﷺ ـ: لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لو تمّوا على الملاعنة» رواه الطبري من طريق أبي إسحاق، حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير في قوله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ فذكره مرسلاً، وفي سنن أبي داود من حديث ابن عباس «صالح النبي ـ ﷺ ـ أهل نجران على ألفي حلّة النّصف في صفر، والبقية في رجب يؤدونه إلى المسلمين» وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً، وثلاثين من كلّ صنف من أصناف السّلاح يغزون بها والمسلمون ضامنون لها حتى يردّوها عليهم، وهو طرف من هذه القصّة. انتهى.

٢٣٨ ـ أخرجه مسلم (٨/٢٠٨ ـ نووي): كتاب فضائل الصّحابة: باب فضائل أهل البيت، حديث (٦١/ ٢٤٢٤)، والحاكم (٣/١٤٧): كتاب الفضائل وابن أبي شيبة (٦/ ٣٧٠)، حديث (٣٢١٠٢).

---

(١) قوله «فقال أسقف نجران يا معشر النصارى» أي حبرهم عبد المسيح اهـ. (ع)

إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه، فما معنى ضم الأبناء والنساء؟ قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده[1] وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة، وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق، وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي ﷺ لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: الذي قص عليك من نبأ عيسى، ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾: قرىء بتحريك الهاء على الأصل وبالسكون، لأن اللام تنزل من ﴿هو﴾ منزلة بعضه، فخفف كما خفف عضد، وهو إما فصل بين اسم إن وخبرها، وإما مبتدأ و«القصص الحق» خبره، والجملة خبر «إن». فإن قلت: لم جاز دخول اللام على الفصل؟ قلت: إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز، لأنه أقرب إلى المبتدأ منه، وأصلها أن تدخل على المبتدأ، و «من» في قوله: ، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: بمنزلة البناء على الفتح في «لا إله إلا اللّه» في إفادة معنى الاستغراق، والمراد الردّ على النصارى في تثليثهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله: ، ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا

= وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وهو واهم في ذلك فالحديث أخرجه مسلم.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٧٧) وعزاه لمسلم، وأحمد وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة.
قال الحافظ: أخرجه مسلم من طريق صفية بنت شيبة عنها. وغفل الحاكم فاستدركه. انتهى.

(١) قوله «وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه» في الصحاح: الفلذ: كبد البعير. والجمع: أفلاذ. والفلذة: القطعة من الكبد واللحم والمال وغيرها، والجمع فلذ اهـ، فتدبر. (ع)